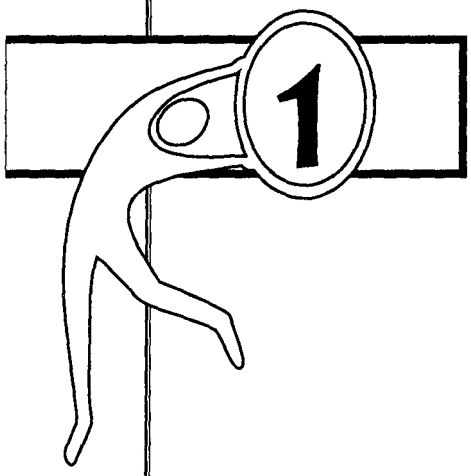

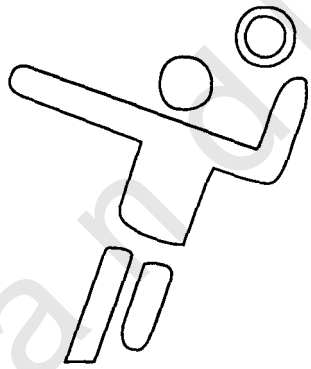

الدورات الأولمبية وتطوراتها

obeikandl.com

مشتملات الفصل

كما أن للحركة الأولمبية أهدافا وفلسفة وتاريخا، كذلك لهذا الكتاب قصة ومراحل نمو وارتقاء. ومع استمرار انعقاد الدورات الأولمبية وضح أن لها تأثيرا على خلق وتغذية الذوات القومية. هذا الفصل يلقي بعض الضوء على تلك الجوانب قديمًا وحديثًا، ذلك للاسترشاد بها في الفصول القادمة. وحيث إنه لا كمال على هذه الأرض، فالحركة الأولمبية السامية والنزيهة في مقصدها ليست منزهة عن النواقص؛ لذا سألقي بعض الضوء على معوقات وصعوبات الأولمبياد. وكمرحلة هامة في تطور الحركة الأولمبية تاريخيًا تم اكتشافنا لأهداف جديدة للحركة، تتلخص في خدمة غرض البحث عن «الذات القومية». وبسبب البث التليفزيوني بدورة طوكيو عام 1964، نشأ الاهتمام بالفوز؛ لتغذية الذات الوطنية، بالإضافة إلى إشباع الذات القومية المستحدثة. ومن بعدها استخدمت دول كثيرة الأولمبياد والمنافسات الرياضية لخدمة غرض الفخر بقومية المواطن، وبعد أن كانت القومية العربية أملا يُرجى في الستينات أصبحت واقعًا فعليًا في هذه المرحلة المعاصرة، وظهر هذا جليا في دورة بكين 2008.

الأهداف:

وفقا لما جاء بعاليه نَظَّمْتُ المعلومات، التي تم التوصل إليها، لخدمة الأغراض التعليمية التالية:

- التعرف على مراحل ارتقاء هذا الكتاب، حيث إنه لم يتواجد من أو في فراغ.
- شرح أهداف وفلسفة وتاريخ الحركة الأولمبية.
- القدرة على التفريق والتمييز بين الحركة الأولمبية القديمة والمعاصرة.
- إدراك استخدامات بعض الدول للقاءات الأولمبية كوسيلة للإصلاح السياسي عن طريق المقاطعة.
- وصف التطور الذي تشهده الأولمبياد بحثا عن «الذات القومية» كمفهوم جديد لم يكن موجودًا منذ 50 عامًا مضت.
- كيفية استخدام مجموعات الدول للأولمبياد لخدمة الذات القومية والفخر بها.
- اكتشاف أهمية الفوز الرياضي لتغذية الذات القومية.
- تحديد آمال القوميات في الدورات المستقبلية.

الاصطلاحات المستخدمة:

أهداف، فلسفات، تاريخ قديم ومعاصر، الذات القومية، نشوء وارتقاء الأولمبياد، الفوز الرياضي والذات.

obeikandi.com

أهداف وأغراض الحركة الأولمبية:

مؤسس حركة الأولمبياد بيير دي كوبرتين Pierre de Coubertinكان هدفه الأساسي الذي مازال حتى الآن هو بناء عالم مسالم وأفضل؛ وذلك عن طريق استخدام الرياضة كوسيلة للتعليم. من الأهداف الأخرى التي أتى بها كوبرتين التالي:

1. خلق فرص ممارسة الرياضة بدون تفرقة من أي نوع.
2. انتشار الروح الأولمبية في جميع أنحاء العالم. هذه الروح يجب أن تتسم بالفهم المتبادل، روح الصداقة، التماسك، واللعب النزيه.
3. الارتقاء بالفتيات عن طريق الرياضة.
4. حماية الشباب من المنشطات.
5. الارتقاء بالتنمية الدائمة.
6. احترام الهدنة الأولمبية أثناء الحروب وتحقيق السلام من خلال الرياضة.
7. الارتقاء بالثقافة والتعليم الأولمبي.

أصبحت المنازلات الأولمبية في حياة الدول الأعضاء تستحوذ على مكانة عالية؛ لنبالة أهدافها وما تصبو لتحقيقه. في هذا الصدد يعلق منير ثابت رئيس اللجنة الأولمبية المصرية في «موسوعة الثقافة الأولمبية» الصادرة عام 2000، قائلا: «تعد الحركة الأولمبية من أرقى بل وأسمى الحركات الاجتماعية المنظمة التي شهدها التاريخ القديم والحديث، ولقد شغلت هذه الحركة بما تضمنته من مبادئ وأهداف سامية فكر الكثير من الباحثين والعاملين في مجال الحقل الرياضي بصفة عامة والحركة الأولمبية بصفة خاصة. ... إننا نأمل في المزيد من عطاء المؤلفين لإثراء المكتبة الرياضية المصرية والعربية بالمزيد من هذه المؤلفات عظيمة الشأن» (ص 11). مكانة الدورات الأولمبية في العالم عمومًا والعربي خصوصًا أصبح في تزايد مستمر، لتحقيق وضع متميز عن طريق المنازلات الرياضية بين الدول على قدر الإمكان.

فلسفة الحركة الأولمبية:

للفلسفة عمومًا عدة تعريفات، واحدة منها أنها «محبة الحكمة». فيما يلي محاولة للبحث عن الحكمة من وراء اللقاءات الأولمبية: نظرًا لأن الألعاب الأولمبية نظمت قديمًا

ثم أُهملت، ثم عادت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، لذا نجد أن لكل منهما قديمًا وحديثًا فلسفة مختلفة. كان للعصر الزمني والتقدم الحضاري تأثير عليهما.

الفلسفة القديمة للأولمبياد:

الأولمبياد القديمة من 776 ق م إلي 393 م كانت للمحترفين فقط، وفلسفتهم كانت «**الفوز هو كل شيء**». وكان اليونانيون والرومانيون يعطون شرفًا لأكثر الرياضيين نصرًا وأداءً وكان يُدفع لهم نقود لجهودهم. الرياضيون القدامى كانوا يلجئون إلى استخدام جرعات مختلفة من الأدوية المنشطة، لتساعدهم أثناء المنافسات. كان اليونانيون القدامى يلعبون تحت حماية علم الهدنة أثناء الحروب، لإعطاء اللاعب حق العبور والتنقل من مكان إلى مكان، بدون الإضرار به. وقد كانت تلك اللقاءات الأولمبية تمنح فترة زمنية للتوقف عن الحرب الدائرة في ذلك الحين.

الفلسفة المعاصرة للأولمبياد:

ينص الميثاق الأولمبي على أن «**الأولمبياد هي فلسفة حياة**»؛ هذا لإيجاد التوازن الشامل للجسم والإرادة والعقل. مازجين الرياضة مع الثقافة مع التعليم؛ فالحركة الأولمبية تبحث عن تحقيق حياة مبنية على البهجة، تلك البهجة مؤلفة من بذل الجهد، والقيمة التعليمية، للقدوة، والاحترام للمبادئ الأخلاقية العامة. والهدف الأولمبي هو أن توضع الرياضة في خدمة تناسق وتنمية الإنسان، متوجهين نحو تشجيع مجتمع سلمي في اهتماماته؛ وخاصة الحفاظ على كرامة الإنسان.

هناك ثلاثة اعتبارات وقيم للحركة الأولمبية. تلك القيم تعتبر روح الأولمبياد ولإلهام اللاعبين ومنظماتهم أو هيئاتهم كما يلي: البراعة أو التفوق والصداقة والاحترام.

1. البراعة أو التفوق: المقصود هنا هو أن يقدم الفرد أفضل ما عنده في اللعب أثناء الطفولة أو في حلبة المحترفين الرياضيين. ليس المقصود بذلك الفوز فقط، ولكن أيضا الاشتراك، مُحرزًا تقدمًا بالقياس ضد الأهداف الشخصية، ومجاهدًا ليكون أفضل ما يمكن. وهذا الاشتراك يجب أن يساعد الفرد على أن يبذل قصارى

جهده في الحياة اليومية، للاستفادة من العائد الصحي للجسم وللعقل وللإرادة. محققين الشعار الأولمبي: «أسرع، أعلى، أقوى».

2. الصداقة: تشجع هذه القيمة على اعتبار الرياضة أداة لتحقيق الاحترام المتبادل بين الأفراد والشعوب من كل أنحاء العالم. الألعاب الأولمبية تلهم الإنسانية للتغلب على الفروق السياسية والاقتصادية وما يتعلق بالنوع والتفريق العنصري، مع تكوين صداقات على الرغم من هذه الفروق.
3. الاحترام: هذا الاعتبار مؤلف من احترام الشخص لنفسه ولجسمه وللآخرين وللقواعد والتنظيمات وللرياضة والبيئة. فيما يتعلق بالرياضة، فالاحترام يعني اللعب العادل والكفاح ضد المتحضرات المُخدرة وأي سلوك آخر غير أخلاقي.

جميع الدول تتبنى هذه الفلسفة لحسن تأثيرها على الشعوب، لتحقيق النمو والازدهار الاجتماعي والثقافي. يعلق على هذا الشأن الدكتور كمال عبد الحميد وآخرون (2000) قائلًا «الحركة الأولمبية فلسفة تربوية واجتماعية أثمرت عند البشر إحساسا عميقا بالتوحد والتعاطف مع الإنسانية جمعاء، وقدمت لنا أسلوبًا تربويًا وثيق الصلة بالتربية الرياضية إن لم يكن هو التربية الرياضية نفسها» (ص 13). هذه الحركة لا مثيل لها في فلسفتها وطموحاتها لتحقيق التآخي والمحبة والتفاهم بين الشعوب على اختلاف ألوانهم ومشاربهم.

تاريخ الحركة الأولمبية القديم والحديث:

تاريخ الألعاب الأولمبية ينقسم أيضا إلي قسمين واضحين للغاية، الفرق بينهما فريد ومتميز، ويفصلهما عن بعضهما أكثر من ألف وخمسمائة سنة. القسم الأول يشتمل على التاريخ القديم منذ تأسيس الحركة من عام 776 ق م إلى 393 م عندما ألغيت. أما القسم الثاني فقد رأى النور مرة أخرى عام 1896م حتى الوقت الحاضر، ويمكن أن يطلق عليه «**التاريخ الأولمبي المعاصر**». بعض الاضطرابات تهدد الحركة الأولمبية بين الحين والآخر، مُعرِّضة إياها للمقاطعة؛ ويصل التفكير أحيانًا إلى محاولة إلغائها.

obeikandl.com

التاريخ القديم:

في وادي أولمبيا باليونان القديمة نظمت أول المنافسات في الرياضة والموسيقى والأدب في شكل مهرجان عام 776 ق م. هذه هي نقطة البداية التي استمرت حتى عام 393 م عندما ألغيت، أي أنها دامت لمدة 1109 سنة. على الرغم من عدم توافر سجلات للأولمبياد، ألا أنه يذكر أن ما يشبه الألعاب الأولمبية كانت تمارس قبل عام 776 ق م. هناك ما يدل على أن منازلات كانت تتم من قبل ذلك. (وقد تكون هذه المنازلات ارتقت وتطورت إلي ما وصلت إليه في عام 776 ق م). هذه المنافسات الأولمبية كانت تقام على شرف إله لهم كان يسمى «زوس Zeus».

المنافسات الرياضية القديمة كانت تشتمل على المصارعة والملاكمة وسباق المشي ورمي القرص ورمي الرمح والوثب الطويل والخماسية وسباق المركبات. ثم أدخل الجري لمسافات طويلة عام 720 ق م، وقد شهد هذا العام إيقاف استخدام مئاذر، وبدأ الرياضيون يتنازلون عرايا. من قواعد الاشتراك في تلك الدورات أن المتنافسين كانوا لا بد أن يتدربوا بإخلاص لمدة عشرة أشهر قبل الدورات، وكانوا ينالون عناية مركزة من قبل المسئولين لمدة 30 يوما قبل البطولة. وكان اللاعب يُقسم أنه قد حقق متطلبات التدريب، وبذل غاية جهده قبل الاشتراك. قِيم الحركة الأولمبية كانت ثلاثة كما ذكر: البراعة أو التفوق Excellence والصداقة والاحترام وكان شعارها أو رمزها الذي استمر حتى الآن هو: أسرع، أعلى، أقوى.

منازلات العصر القديم كان لها روح قوية وعالية، لدرجة أن الفخر بها كان أكثر في المقام من الانتصار في المعارك الحربية. في البداية لم يسمح للفتيات وللأجانب والعبيد بالاشتراك في تلك المسابقات؛ وأكثر من ذلك، فالفتيات كن محرومات من مجرد مشاهدة المباريات. ولكن ابتداء من القرن السادس ق.م كانت تقام للفتيات مسابقات منفصلة كل أربعة سنوات. النصر كان مهما للغاية، والفائز كان يحوز على غصن زيتون أخضر (**تقليد استمر مع المسابقات حتى العصر الحديث**). وعند عودة الفائزين إلى ولاياتهم كان الأبطال الرجال فقط يحوزون على تشريف عظيم وهدايا وامتيازات.

وصلت هذه المنازلات ذروتها، من حيث درجة المنافسة وعدد المشتركين في القرن الرابع والخامس ق م. بعدها بدأت تتدهور لتحولها إلى الاحتراف، بالإضافة إلى توجيه اللوم الشديد للاعبين عند عدم تحقيق الفوز. مما نتج عنه توترات وانفعالات سلبية أثناء الإعداد وعند المنازلات وما بعد الدورة. ولأسباب أخرى توقفت الأولمبياد القديمة في عام 393 م للرجال وللفتيات بأمر من الإمبراطور الروماني.

التاريخ الحديث - المسابقات الأولمبية المعاصرة:

بعد إيقاف الدورات الأولمبية لمدة 15 قرنًا بادر الأرستقراطي «بيير دي كوبرتين Pierre de Coubertin» بإحياء الألعاب الأولمبية. الدافع لذلك أن عمره كان سبع سنوات، عندما اكتسحت ألمانيا بلده فرنسا سنة 1870م؛ وهناك اعتقاد أن كوبرتين أعزى هذه الهزيمة أنها لم تكن بسبب نقص المهارات العسكرية الفرنسية، ولكن لأن الجنود كان ينقصهم القوة والبهجة والحيوية (**أي اللياقة البدنية**).

و بعد فحص النظم الدراسية للأطفال بألمانيا وإنجلترا وأمريكا قرر كوبرتين أن سبب الهزيمة كان غياب التمرينات البدنية، وعلى وجه التحديد الرياضة؛ وهما من وسائل صنع القوة والحيوية للشخص. لكن لم تقابل هذه الدعوى في البداية قبولا وحماسا، ولكنه كان مُصرًّا على هذه الفكرة. وفي عام 1890م نظم وأسس كوبرتين «هيئة رياضية» لهذا الغرض. بعدها بسنتين اقترح إعادة وصحوة الدورة الأولمبية، ولقت فكرته قبولاً هذه المرة.

أقيمت الدورة لأول مرة في التاريخ المعاصر عام 1896. وأعلن قبل الدورة أن اشتراك الفتيات في منافسات هي للرجال «فقط» يعتبر أمرًا غير عملي، وغير ممتع، وليس له الناحية الجمالية؛ مما يجعل هذا الأمر غير مناسب. (**ومن أجل الحق والإنصاف فإن هذا التوجه كان يعكس نظرة وقيم ومفاهيم عصره. والدليل على ذلك أنه بتغيير الأزمنة تغيرت وجهات النظر وبدأت الفتاة تأخذ مكانة شبه ملائمة، للإسهام في الحركة الأولمبية**). ففي الدورة الثانية بباريس، اشتركت الفتيات لأول مرة بعدد 22 فتاة، ولكنه انخفض العدد في الدورة التالية إلى 6 فتيات فقط. من بعدها بدأت الأعداد تتزايد، من

37 في الدورة الأولمبية الرابعة إلى 4329 في الدورة الخامسة والعشرين بأثينا عام 2004 م. ويعتبر هذا الرقم أعلى تمثيل للفتيات في العصر الحديث وهو يقرب من 44% من إجمالي عدد المشتركين والمشتركات. الأمل أن يصل إلى 50 %؛ ليس عالميا فقط وإنما في الكثير من الدول العربية أيضًا. **(مسألة اشتراك المرأة في الأولمبياد عامةً وعربيًا خاصة تُعتبر هامة؛ والحديث عنها كثير وعادل، لذا ستناقش بتفصيل أكثر في فصل قائم بذاته فيما بعد).**

في عام 1896م عندما نظمت أول لقاءات أولمبية، كانت في أفضل مكان ممكن ومنطقي: أثينا باليونان، دولة المنشأ. لم يكن متوافرا بأثينا حمامات سباحة، لذا استخدم امتداد «ببحر إيجة»، لإقامة المباريات في المياه المفتوحة، وكانت درجة الحرارة منخفضة، والأمواج عالية أثناء المنازلات. تبعها بعد أربعة سنوات في عام 1900م الدورة الثانية في بلدة كوبرتين بفرنسا؛ والثالثة بمدينة لوس أنجلوس بالولايات المتحدة عام 1904م؛ تلك الدورات الثلاثة صادفوا معوقات شديدة، أهمها سوء التنظيم وغياب التمثيل الدولي الواسع. وكان أول لقاء ناجح فيما بعد بلندن عام 1908م، ومن بعدها تم التغلب على الصعوبات الجوهرية. **(هذه الحقيقة تبين طبيعة الأمور من حيث الاشتراك في المنازلات والتنظيم؛ عندما تفرض المعوقات نفسها، بالدراسة الجادة لأسباب المعوقات والتخطيط لمعالجتها، يثبت الإنسان كفاءته وجدارته).**

استمرت المسابقات فيما بعد، ولكنها كانت منحصرة في دول أوربية فقط، حتى دورة هلسنكي عام 1952م. بعد ذلك يبدو أن صحوة عالمية حازت على اهتمام اللجنة الأولمبية الدولية والدول الأخرى، فبدأت بالخروج من أوربا، بشكل متكرر منذ دورة ملبورن عام 1956م. بدأت «سياحة» الدورة دوليا، عوضا عن القوقعة الأوربية، متنقلة من مونتريال 1976م إلى لوس أنجلوس 1984م، **(كلاهما بأمريكا الشمالية)**. ولأول مرة تغامر وتظهر أو تشرق في المشرق، في دولة آسيوية بسول في كوريا الجنوبية عام 1988م؛ ثم أتلنتا عام 1996م عائدة إلى أستراليا بسدني عام 2000م، ولحنينها إلى دولة المنشأ، عادت إلى أثينا الأوربية عام 2004م بعد غياب لأكثر من 100 عام، تبعتها ما يسمى «بأعظم دورة أولمبية في التاريخ»، عندما عادت للمرة الثالثة إلى آسيا في بكين

عام 2008م. ثم استقطبتها أوروبا مرة أخرى لتقام في المستقبل بلندن عام 2012 م: ولإستكمال السياحة من قارة إلى أخرى، تم الموافقة على إقامة الدورة الاولمبية لعام 2016م بمدينة ريو دى جانيرو بالبرازيل، لاول مرة فى التاريخ الأولمبي، لتقام بامريكا الجنوبية (توقفت اللقاءات الأولمبية مرتين في عام 1940 وعام 1944بسبب الحرب العالمية الثانية). وعادت ألمانيا للاشتراك مرة ثانية فيما بعد.

معوقات وصعوبات الحركة الأولمبية المعاصرة:

لم ترتق الأجهزة التنفيذية باللجنة الأولمبية الدولية إلى مستوى شعاراتها، ولم تتصرف كملاك طاهر لا غش فيه ولا دنس؛ بل يغلب عليها العنصر البشري بكل ضعفه. فأصبحت الأولمبياد فريسة لعوامل عديدة، عطلت أحيانًا أهدافها ومبادئها السامية، المتعلقة بالتعاون والتفوق الرياضي. وكما أصيبت دورات التاريخ القديم؛ عانت الدورات المعاصرة أيضا من المحاباة لقوميات معينة، مما هدد أحيانا بعدم استمرارها. ومن الأسباب التي تزيد من عنصر المحاباة أن اللاعبين يحوزون على ميداليات، ولكن الدول تعطي أهمية عالية لبراعة ومهارة مواطنيهم، مما دفعهم أحيانا للتدخل. وعلى صعيد آخر فإن إحدى العوامل الخطيرة لأسباب حربية وعسكرية كانت ما بين عام 1952م وعام 1988م؛ عندما كان هناك عداء سافر بين القوى العظمى ممثلة في الاتحاد السوفيتي (قديما) والولايات المتحدة الأمريكية؛ مما أدى للمقاطعة مرتين. هذا عندما نُظِّمت الدورة بموسكو عام 1980م، ثم عندما انتقلت إلى لوس أنجلوس 1984م. أتباع كل معسكر كانوا ينضمون إلى المقاطعة التي تخدم الحلفاء. (**هل ستعود هذه المقاطعات للأولمبياد؟**).

ثم تعددت أسباب أساليب التأثير السياسي؛ من دعاية نازية ببرلين عام 1936م، إلى الضغط لاستبعاد روديسيا لسيطرة الحكم الأبيض، إلى المحاباة لأمريكا بسبب الدعاية التجارية، لحاجتها لمواءمة مواعيد المنازلات لتتفق مع البث التليفزيون الأمريكي، وأخيرا المعاناة من مشكلة المنشطات. وفي النهاية، فاللجنة الأولمبية الدولية نفسها تتعرض للمساءلة، ففي عام 1988م اتهمت اللجنة بالحصول على رشاوى؛ وأن المحاباة تدخلت لاختيار المدينة المستقبلية التي ستقام عليها الدورة. كنتيجة لكل ذلك،

وللتغلب على الكثير من مشاكل اللجنة الأولمبية الدولية، بدأ الإصلاح عام 1999م (بعد 11 سنة!!)، للمبادرة بتحديد سن العضوية الدولية، وتحديد المدة الزمنية للبقاء باللجنة. (**إجراء مشابه بما قامت به مصر؛ بتغيير اللائحة للإصلاح الأولمبي وللاتحادات الرياضية**). هذا بالإضافة لمنع أعضاء اللجنة من زيارة المدن المرشحة لإقامة الدورات؛ منعًا من إتاحة فرص التأثير عليهم.

مقاطعة الدورات الأولمبية:

مقاطعة الدورات الأولمبية تعتبر ظاهرة سياسية، ثقافية، ونفسية. تستخدمها الدول والمتضامنون معهم للتعبير عن الاستياء والغضب والاحتجاج على سلوك الدولة المنظمة للدورة. بالإضافة إلى استخدامها كوسيلة للضغط على دول معينة، لإحداث تغيير في سلوك ما.

وعادة ما يكون الاحتجاج على دولة أو دول كبرى، في الغالب تكون الدولة المنظمة قد أهدرت حقا أو اقتنصت فرصة ضد دولة أو دول أخرى، أصغر وأقل منها في القوة. كما لو كانت الدول الكبرى تنفذ شريعة الغاب، معتقدة أن «**البقاء للأقوى**». الأمثلة على ذلك عديدة، منها أول مقاطعة التي كانت لدورة ملبورن 1956، بسبب الهجوم الغاشم الثلاثي على قناة السويس (**إنجلترا وفرنسا وإسرائيل**). ومرة أخرى بسبب روديسيا والتفرقة العنصرية، وفى عام 1980 كانت مقاطعة الغرب لدورة موسكو بسبب الهجوم على باكستان. أما مقاطعة دورة لوس أنجلوس 1984 فقد كانت ردا من السوفيت وأتباعه على مقاطعة أمريكا لدورة موسكو السابقة. وفى دورة بكين عام 2008 احتج الكثير بسبب التبت، وما يجرى فيه من سوء معاملة الصين للتبت.

وتنتهز الدولة المغبون حقها والمتعاطفون معها هذه الفرصة الاحتفالية التي تجمع أغلب دول العالم، للتعبير السلمي على عدم الموافقة على وضع ما، وكثيرًا ما تُحْدِث المقاطعة تأثيرًا إيجابيًا. هذا لما تسببه المقاطعة من إحراج دولي وتحريك للرأي العام العالمي.

المكانة الحديثة للدورات الأولمبية بين الدول

في أوائل الدورات الأولمبية المعاصرة لم يكن لها مكانة تذكر. ولكن بتقدم الشعوب وزيادة معدلات الرخاء، واستقرار السلام العالمي نسبيًا بدأت الحركة الأولمبية تأخذ مكانة جديدة مميزة بين الدول. ومما ساعد على انتشار شعبية الأولمبياد أن العالم بدأ يتمتع بالكثير من الصناعات والمخترعات. وبعد أن كان دور وتأثير الحركة الأولمبية محدودا في ظل ما كان متوفرًا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بدأ العالم يشهد ثورة معاصرة جديدة في جوهرها ومكانتها. هذا بعد تأثير ما جلبته الحرب العالمية الثانية من تكنولوجيا وتطور أدخل العالم مرحلة عجيبة لم يشهدها من قبل؛ مما غير تمامًا من أهمية ومكانة الأولمبياد من حيث التأثير على الشعوب والقوميات، كما سيتضح في هذا الفصل.

تطور الدور الأولمبي لخدمة غرض البحث عن «الذات القومية»

(ظاهرة معاصرة: مولود أولمبي جديد، يبلغ الآن من العمر أقل من 50 سنة)

قديمًا كان حجم الجيوش ومستوى إعدادهم يُستَخدَمُونَ كمقاييس للتفاخر بمجد وعظمة دولهم. ولكن فداحة دمار الجيوش في وقتنا الحالي ومستوى التحضر أجبرا الدول على التوصل إلى وسائل ومؤسسات دولية كالأمم المتحدة لفض النزاع وتحقيق السلام، بقدر إمكانهم.

وحيث إن الدول تشبه البشر في البحث عن المجد والعظمة – منبعهما الذات – مع التعرف على وسائل تحقيقهما، لذا لجأت الدول إلى الرياضة للتنافس ولتحقيق وإثبات مدى بهائهم وجلالهم، وتعبيرًا عن مستوى الرعاية والنمو لشعوبهم بدلًا من الحروب والدمار. المثال على ذلك دولة كوبا ووضع أمريكا منها، فهما في صراع أيدلوجي مستمر منذ ثورة عام 1959. ولِكَونْ كوبا دولة صغيرة (فوق 11 مليون بقليل)؛ لذا لجأت إلى التجمعات المتنافسة دوليًا، مثل الرابطة الأمريكية (**تشمل على أمريكا الجنوبية والشمالية والوسطى**) لتحقيق الفوز. هذا لترفع رأسها بين عائلة نصف الكرة الأرضية التي تشملها. وتحاول بعدد سكانها الضئيل أن تقهر العملاق الأمريكي المجاور (309

مليون)، بإحراز الفوز الرياضي عليها. مع التأكد من امتداد هذا الطموح إلى الدورات العالمية والأولمبية لتحقيق السيادة في الملاعب.

فالرياضة أصبحت ساحة تتبارى فيها الدول من خلال مواطنيها. هذا لتُحَقِّق مكانة واعتبارًا دوليًا؛ مثلما فعلت دولة كالصين في عام 2008. فمعدلات نموها الاقتصادي والسكاني كانا يتزايدان بطريقة مذهلة؛ ولكن وضعها الدولي وهيبتها كانا متواضعين للغاية. استخدمت الصين الرياضة لتفرض نفسها على العالم، ولتثبت جدارة شعب يصل تعداده خمْس سكان العالم أجمع. كقضية عامة للفرد أو للدولة؛ فإن المحتقر والمزدرى، يُبْدِع ويتفوق، لإثبات وجوده وللخروج من المهانة؛ فارضًا وجوده على من حوله. اللقاءات الدولية أصبحت أقوى الوسائل ذيوعًا وانتشارًا لتحقيق مثل هذه الطموحات.

ووصلت الأمم المشترِكة في دورة بكين إلى قمة الصراع في حلبات المنافسة الرياضية بحثًا عن «**الذات القومية**» والاحترام اللائق بين الدول. فالرياضة أصبحت مؤشرًا على الارتقاء والتحضر والرعاية؛ مثلها مثل الاقتصاد ومستوى التعليم والمستوى الصحي ومتوسط دخل الفرد.

أهمية الفوز والنجاح الرياضي لتغذية الذات القومية:

لماذا تَعْتَبِر الشعوب – حديثًا – أن التواجد والفوز بالميداليات الأولمبية أمرًا هامًا؟ وماذا ترى الشَعوب في رفع أعلامها في المحافل الدولية؟ هذا أمرًا جديدًا على العالم؛ فظواهر التواجد الدولي والأولمبي لم يكونا من الأهمية في الأربعة عشر دورة الأولمبية الأولى، من 1896 إلى 1960 بروما. كما لو كانت الشعوب في غيبوبة، ولا تدري بأن دولها ممثلة أو غير ممثلة في اللقاءات العالمية. وهذه حقيقة لم نكن نعلمها أو نشعر بها؛ لم تكن الأولمبياد (**أو التجمعات الدولية الأخرى**) على ضمير الشعوب. استمرت هذه الحالة من الغفلة والاسترخاء حتى منتصف الستينات، حتى حدوث الحدث العظيم في تاريخ انتشار الرياضة أثناء أولمبياد طوكيو. بهذه الدورة أذيعت اللقاءات الأولمبية لأول مرة في التاريخ على التلفزيون عام 1964، حتى وصلت هذه البداية المتواضعة التي أيقظت العالم إلى قمتها في بكين لأن تكون أكثر الأحداث الرياضية انتشارًا، شاهدها بلايين البشر في كل مكان.

تدريجيًا بعد سيطرة التلفزيون، وشروع عصر The Digital Media، بدأت الشعوب تفيق من غيبوبتها وغفلتها، ويزداد وعيها وتداركها. مجموعة أخرى من الأسباب ساعدت على هذا الانفتاح الإعلامي وزيادة الوعي، منها ما يلي: سهولة التنقل وسرعة الطيران؛ تحسن طرق الاتصال السلكي واللاسلكي، اللذان ذاعا انتشارهما، وانتهاء بالمحمول؛ وتقدم وذيوع الصحافة، والمذياع أكثر فأكثر. هذه العوامل المختلفة ساعدت على انكماش المسافات؛ فبدلا من كرة أرضية مترامية الأطراف، سحيقة الأبعاد؛ تقلصت الفروق واقتربت الشعوب. فسرعة وفورية نقل المعلومات والأخبار أصبحوا من سمات العصر البارزة. وظهر هذا جليًا في أحداث دورة بكين، وفى الحروب الأخيرة، ونكبات جنوب شرق آسيا.

كيف نمت الذات القومية؟

حينئذ بدأت الشعوب تدريجيًا تشعر أنها موجودة في مجتمع دولي، وتدرك أنها في دول لها كيان كأعضاء في أسرة كبيرة، تقطن هذه الأرض. فكل شعب بدأ يشعر أنه ليس بمفرده في هذا الوجود. وأصبح الفرد – في أغلب الأماكن – قادرا على أن يرى أو يقرأ أو يسمع عن إنسان آخر يبعد آلاف الأميال، ويفصلهما جبال أو محيطات؛ كل ذلك صار دافعًا إلى تكوين «**الذات القومية**» **بطريقة تلقائية، والخروج من القوقعة المحلية أو الوطنية. عوضًا عن البحث عن «من أنا؟»؛ تدريجيًا – مرة أخرى – بدأ يسأل المواطن عن «من نحن؟»**. القوميات في جميع المسكونة، بدأت تُولَد وتشتد في القوة. والغريب أن الشعوب لم يُعَلِّمها أحد أن تُكَوِّن هذا الشعور القومي، بل نما تلقائيًا ليخدم أغراضًا انتمائية، تتعلق بذات وكيان الإنسان وعمق وجوده في عالم متصارع ومتنافس.

وقتئذ، لجأ مواطنو القوميات إلى أساليب ليجيبوا بها على مواطني قوميات أخرى عن «**من نحن؟**»، وأحيانًا لتحديد مكانتهم في هذا الوجود. ووجدت الشعوب ملجأها في الرياضة وفى حلبات المنافسة، وأصبحت من أفضل الوسائل لتحديد مكانة مجموعات الدول وأقاليمها عالميًا. ومن المعتقد أن الأولمبياد سَتُسْتَخْدَم أكثر فأكثر مع استمرار الوقت لإشباع هذه الحاجة النامية بشكل مطرد، والتي لم تكن موجودة قبل 50 سنة.

وبعد أن نما شعور المواطنة والقومية، ارتفع مستوى شعور التواجد في عائلة: قد تكون عائلة آسيوية أو أوربية أو أفريقية أو كاريبية (**دول البحر الكاريبي**) أو عربية.

مثال على ذلك الإنجاز الأوليمبى لدولة مثل جاميكا الكاريبية، إنه لم يكن مدعاة لفخر شعبها ومسؤوليها فقط، وإنما محل إعجاب واحترام الدول الصديقة والمؤسسات الإقليمية التي تتبعها الدولة. والدليل على ذلك تهنئة السكرتير العام لمنظمة الدول الأمريكية بالبحر الكاريبي والدول اللاتينية لرئيس دولة جاميكا على النجاح المذهل الذي حققه عداءو بلده جاميكا. فلو حدث مثل ذلك الإنجاز لدولة كالمغرب أو تونس لعمَّ الفرح والفخر من الدول الأفريقية ومنظماتها، ومن الدول العربية وجامعتها في المقام الأول. إن النجاح الأولمبي لدولة واحدة بإقليم ما ترفع من الروح المعنوية والمكانة للدول المحيطة، التي لها شأن بمن يحرز التفوق. تَطَوَّرَ الانتماء، فعوضًا عن القرية أو المحافظة (**أسيوطي أو شرقاوي أو جيزاني أو حلبي**) أصبح الانتماء إلى قومية لكونه مصري وعربي هو مركز الاهتمام. وهذا ينطبق تمامًا على باقي الدول العربية، بحثًا عن الذات القومية في النجاح والفوز لدول الإقليم. لهذا فإنه من المتوقع أن يكون لجامعة الدول العربية دور كبير بالغ الأهمية ارتقاء بالأداء الأولمبي.

آمال القوميات:

هذا النجاح، يضع الإقليم كله على خريطة العالم، ويعبر عن مكانته في دولة هي جزء من إقليم هذا مقداره. والمثال على ذلك أنه عند اللقاءات الدولية لأي دولة فإن سكان المحافظات أو الولايات لا يفكرون في مكانتهم المحلية، بل يلتفون حول أعلامهم الوطنية وتمثيلهم الدولي. هكذا الدول عندما تلتف حول الإقليم الذي تتواجد فيه بحثًا عن الذات القومية. ومن شطحات الخيال أنه لو كان هناك تنافس رياضي بين الكواكب (**مثل زحل والمشترى وغيرهم**) واختير فريق ليمثل الكرة الأرضية، عندها كان ينسى الفرد وضع دولته وإقليمه ويتجه إلى كوكب الأرض كمصدر لفخره وانتمائه، متمنيًا النصر للفريق الذي يمثل الكرة الأرضية.

نعيش في عالم ينكمش باستمرار، وتأخذ الدول مكانتها الدولية ليس فقط عن

طريق إنجاز مواطنيها بل من خلال نجاحات أحد أعضاء الإقليم أيضًا. فالعالم تطور معطيًا أهمية كبرى للتفوق الإقليمي والقاري في شتى المجالات. في هذه الحالة تبحث كل دولة عن المحتوى الذي يحتويها وتتطلع إلى أدائه، وتعتبر نفسها جزءا لا يتجزأ من ذلك الإقليم. والمحتوى يصير هوية ومصدرًا للفخر والاعتزاز. فدول الخليج تفتخر بآسيويتها؛ ودول شمال أفريقيا تتباهى بأفريقيتها. والبحث عن الهوية هو بحث عن الذات؛ والإنسان الذي بلا هوية يعاني الكثير. لذلك وجدت الأولمبياد منفذًا إلى القوميات وشعوبها، وأصبحت مصدرًا لرموز كثيرة. من هنا صارت عزة الإنسان من عزة إقليمه؛ ومكانة الأمة من مكانة مجموعة الأمم التي هي عضو في عائلتهم.

لتواجد وإلحاح الشعور القومي عانت وتألمت الشعوب العربية جمعاء – بدون استثناء –، استاءت لضعف مستوى الأداء وعدم إحراز مكانة تليق بوضع دول المنطقة عالميًا. ولكن الفرص مازالت متاحة، والباب مفتوحًا على مصراعيه، أكثر من أي وقت مضى؛ لمن يريد أن يثبت وجوده، ويدخل منه ويرفع رأس قوميته.

obeikandl.com

الملخص والنتائج

مدخل هذا الفصل هو محاولة واقعية ومنطقية لربط الأحداث المحلية للنهوض بالرياضة في مصر وفى دول عربية أخرى بمحتويات هذا الكتاب. هذا حتى يرى القارئ علاقة الأداء الرياضي بأولمبياد بكين ونتائجها، بالحاجة لفكر واستراتيجيات جديدة تتلاءم مع التطور المعاصر. بالإضافة فقد كان الغرض من هذا الفصل هو إرساء جوهر الحركة الأولمبية، وذلك بإلقاء الضوء على أهدافها، وفلسفتها، وتاريخها. بينما كانت فلسفة الأولمبياد قديمًا «الفوز هو كل شيء»، ارتقت في الحركة المعاصرة لتصبح فلسفة حياة: لإيجاد التوازن بين الجسم والإرادة والعقل. وقديمًا بدأت الألعاب الأولمبية عام 776ق.م؛ وحديثًا عادت بفضل مؤسسها الفرنسي عام 1896م. حتى الآن أقيمت 26 دورة أولمبية، ونصف هذا العدد دورات بارالمبية (أي 13 دورة). وبينما كان إجمالي عدد المشتركين في أول دورة أولمبية 241 رياضيا، جميعهم من الرجال؛ وصل هذا العدد إلى 10625 في دورة أثينا عام 2004. وعدد الفتيات في أول دورة لهن بباريس عام 1900 كان 22، ليصل إلى 4329 في عام 2004. وبذلك أصبح للحركة الأولمبية تأثير ومكانة بين الشعوب. ولذيوع سيطرتها ولانتشارها الإعلامي، وخاصة التليفزيوني بدأ تدريجيًا يظهر عنصر القوميات؛ بدلًا من الأوطان، كمصدر للفخر والزهو الدولي. ونمت الهويات القومية، من بعد دورة طوكيو التي أذاعت اللقاءات الدولية تليفزيونيًا لأول مرة في التاريخ. والمستقبل سيشاهد تركيزًا أكثر على انتشار تلك اللقاءات؛ وعلى الاستخدامات القومية لإلقاء الضوء على تقدمها ومكانتها عالميًا. ومن الرموز التي أفرزتها الألعاب الأولمبية أن عزة الإنسان صارت من عزة إقليمه؛ ومكانة أمته من مكانة مجموعة الأمم التي هي عضو فيها.

obeikandl.com

المراجع

- رفعت خالد وياسر قاسم. الدكتور مفيد شهاب في مؤتمر صحفي عالمي، وقفة جادة مع المتقاعسين في دورة بكين، التقرير ليس وثيقة إدانة ولكن خطوة إصلاح. المساء، 26/ 12/ 2008.
- سمير عبد العظيم. بلا حدود: تقرير بدرجة ممتاز، ينقصه التنفيذ. المساء، 26/ 12/ 2008.
- فتحي سند. لا مؤاخذة. أخبار اليوم، 26/ 12/ 2008.
- عصام عبد الحافظ. أخبار اليوم، 26/ 12/ 2008.

obeikandl.com

فهرس الفصل

- وصف الأداء العربي
- جذور الأداء المتدني الذي يتكرر من كل الدول العربية.
- أين أصل الداء؟
- الوضع الأولمبي لمصر: ماكان وما آل إليه.
- دورة بكين: رد الفعل المصري.
- استجابات بعض الدول العربية لمستوى الأداء بدورة بكين:
  - من المغرب
  - من الجزائر
  - من السعودية
  - من سوريا
  - من الإمارات
  - من الأردن
- خلاصة الانطباعات الواردة من أنحاء العالم العربي.
- هل سيخبو الاهتمام بالوضع الأولمبي كالعادة؟ الأزمة والحاجة للتغيير.
- لماذا يجب أن تتغير بؤرة الاهتمام الحاضرة واستبدالها بالتركيز على إيجابيات المستقبل؟
- مبررات النظرة الإيجابية المقترحة.
- من هو المسئول الحقيقي؟ جذور عميقة مخادعة للفشل الأولمبي.
- المسؤولية الحقيقية مستقبلًا، وأسس التعامل والتقييم.
- الملخص والنتائج.

obeikandl.com